الطبيبان الشهيدان

قزمان ودميان

الطبيبان الشهيدان

قزمان ودميان

واخوتهما وأمهما

يوسف حبيب

أسرة الشهيدين

« . . أما أنا وأهل بيتي فنعبد الرب »

في مدينة أجاس (Eagés) بمقاطعة كيليكية بمنطقة أرابيا بآسيا الصغرى وفي نهاية القرن الثالث الميلادي عاشت هذه الأسرة الصغيرة المكونة من أب لا نعرف عنه الكثير وأم تخاف الله : محبة للغرباء، وحومة تدعى ثيؤدوتي (عطية الله) وخمسة بنين هم قزمان ودميان توأمان وأخوتهما أنثيموس ولوندبوس وابرابيوس ، ويذكر عن هذه العائلة أنها كانت موسرة جدا .

مات الأب فتعهدت هذه الأم القديسة ابناءهـــا بالإهتمام فعلمتهم مبادىء الحياة المسيحية حتى شبوا وحذق قزمان ودميان صناعة الطب وأصبحا طبيبين ماهرين أما أخوتهما الثـــلاثة الآخرين فمضوا إلى البرية حيث ترهبوا ....

+ + +

قزمان ودميان الطبيبان

إختار هذان القديسان مهنة الطب آملين أن يكون وسيلة لجذب الوثنيين إلى الإيمان المسيحي فاستخدماها لخدمة المؤمنين والوثنيين على السواء ببراعة فائقة ، وكانا يعالجان شتى الأمراض ولم يبرعا في الأمراض البشرية فحسب بل عالجا وأشتهرا في سائر البقاع بسيرتهما الناصعة وعلمهما الغزير كما اشتهرا بقدرتهما الفائقة على شفاء الامراض الكثيرة التي أجراها الرب على أيديهما.

حياتهما العملية

(لقد أكلتم أو شربتم او فعلتم أي شيء)
« فافعلوا كل شيء لمجد الله » (١ كو ١٠ : ٣١)

كانا يشفيان الأمراض لا بقوة الأدوية بل بقوة فائقة على الطبيعة (١) إذ كانت نعمـــة الله فيهما تعطي للدواء قوة خاصة للشفاء .

---

(١) الكنيسة القبطية غنية أيضا بالقديسين والشهداء الاطباء أمثال ـ فانه وبندلاوون وغيرهما ! ـ

وتتلخص طريقتها في العمل في أنه كان حالما يقف المريض أمامهما يرفعان لوقتهما صلاة قصيرة من عمق القلب ويرشمانه بعلامة الصليب ثم يطلبـــان منه أن يعطيهما تفصيلا عن

= وعلى العموم كان الطب كما وصفه لنا القديس باسيليوس الكبير .

+ صناعة نافعة وهبها الله لنا لإحتياجنا اليها كما وهب لنا الزراعة والحياكة والبناء وسائر الصناعات وبها نداوي أمراضنا الجسمانية والنفسانية .

+ لو بقينا في فردوس البقينا بغير ألم كالنعمة التي كانت قبل المخالفة .

+ الحشائش المستعملة في أدوية الأمراض لم تنبت إلا بإرادة الله لمنفعتنا . فلما أن نستعمل الطب لكن من الخطأ الإتكال عليه كسبب للشفاء بل كوسيلة يستخدمها الله لشفائنا .
فيجب علينا ألا نرذل صناعة الطب لكون بعض الناس يستعملونها رديئاً .

+ ليست الأمراض كلها طبيعية وتحتاج إلى صناعة الطب بل قد يكون المرض لنا بسبب خطية لنتوب عنها فنبرأ ١ كو ١١ : ٣٠ فلا ينفع في مثل هذه الامراض الطب بل السؤال من الله.

(من كتاب لمكيات باسيليوس)

حالته فيقرران له التذكرة الطبية اللازمة وفي هذه الأثناء إذ كانا يتألمان لألمه ومرضه كانا يطلبان إلى الله عنه فكان يتعافى وبهذه الطريقة فتحا أعين عميان وأخرجا شياطين كثيرة وأبرآ مرضى بكل نوع وبالإجمال كانا يشفيان كل مرض وكل سقم بحسب وعد الرب للمؤمنين في الإنجيل (مر ١٦ : ١٧) .

ومن أمثلة ذلك أن جاءتها مرة إحدى النساء وتدعى بلاديا ، وكانت تقاسي كثيرا من مرض مزمن ، واضطرت أن تنفق الكثير من معيشتها على الاطباء لكنها لم تستفد شيئاً . أخيراً جاءت إلى هذين القديسين لما سمعت عن مقدرتهما على الشفـــاء بقوة الله .

ولما مثلت أمامهما تألما لحالها لما رأياها ترسف في المر والألم بسبب مرضهـــا الشديد المستعصي. ولم ينتظرا طويلا حتى تتم توسلاتها لهما ، فطلبـا من أجلها فنالت ما كانت تصبو اليه من لدن الرب ، ومجدت الله فيهما .ومع أنها كانت تعلم أنهما لايقبلان مالا لقاء خدمتهما لاسيما من الفقراء إلا أنها قدمت هدية صغيرة إلى دميانوس ولم يقبلها في بادىء الأمر لكنه أمام توسلات

المرأة الشديدة من ناحية ولأنها طلبت اليه أن يقبلها باسم المسيح من ناحية أخرى لم يستطع أن يرفض .

وقد إستاء فرمان حين علم بما أقدم عليه أخوه ظناً منه أنه انتقص عهده بألا يجعلا للفضة نصيباً بينهما حتى أوصى بألا يدفن جسده بجوار أخيه عند موتهما !..

ولم يظل الأمر طويلا لأن الرب يسوع الذى يشأ أن يحسدهما عدو الخير ظهر لفرمان قائلا له لماذا تتكلم بقسوة على أخيك لقبوله الهدية أن المرأة توسلت اليه باسمى .

+ + +

بغضهما للفضة

(إذهب بع كل مالك وأعط الفقراء... وتعال أتبعنى ... حاسبا الصليب فيكون لك كنز فى السماء).
(محبة المال أصل كل الشرور لذا إبتعداه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة) .

كان القديسان يعيشان عيشة الكفاف والصلاة والاماء، وعرفا عن أن تتعلق نفسيهما بمحبة المال شأنهما فى ذلك شأن غيرهما فيقعان فى شرور كثيرة كما حذرهما الكتاب بذلك .

لذلك قطعا منذ البداية كما ذكرنا أطماع المال ووضعا لذلك حداً لئلا تميل نفسيهما اليه وبذلك إستطاعا أن يحيا فى الرب من كل القلب .

وأثرت حياتهما فى حياة الوثنيين أيما تأثير فكان كثير من المرضى يفدون إلى الإيمان بسببهما وأما هما فكانا لا يربطهما بمهنتهما أى نوع من الاستغلال السيء. فكانا كريمين للغاية ،

لم يقاطياً أجراً فى مقابل أية خدمة إلا فى القليل النادر فاشتهرا بلقب (المطبيان بلافضة) وسماهما الوثنيون (مبغضا الفضة).

الاضطهاد لأجل يسوع

(قد وهب لكم لا أن تؤمنوا بالمسيح فقط
بل أن تتألموا لأجل اسمه ايضاً) فيلبى ١: ٢٩

حدث فى أيامهما أقسى الاضطهادات التى أحدثها دقلديانوس الشرير المتهور ضد المسيحيين. وأمر ليسياس حاكم منطقة ديرما باضطهاد المسيحيين بلاشفقة فى هذه البقعة وكان قزمان ودميان من بين هؤلاء يجاهدان لتحويل المدينة كلها إن أمكن الى الإيمان المسيحى فانتشر خبرهما ووصل الى مسامع ليسياس الوالى وأرسل جنوده فقبض عليهما ...

إستدعاهما الى مقره وكان أول سؤال واجههما به هو : من أى أقليم أنتما ؟ ، فأجاباه اننا من أشراف منطقة أرابيسا ولنا ثلاث إخوة مسيحيين متعبدين هم أنطونيوس ولونديوس

وابرابيوس . وأنهما مسيحيين تعلما الطب واختاراه لمنفعة الجميع لايهدفان من وراء ذلك نفعاً زمنياً وقالا أعلم أيها الوالى أننا نبرىء المرضى بقوة الرب يسوع المسيح ومن أجل ذلك آمن الكثيرون بالمسيح لما رأوا العجائب !!

لما قالا هذا هدأ غضب الوالى عليهما ...

تألب الوثنيين عليهما

(سيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الاب ولا عرفوني)

لكن الوثنيين أخبروه بأن هؤلاء هم أشد الناس عداوة لآلهتهم فى المدينة كلها لأنهما بطبيعتهما السحرى يجذبان الناس إلى ديانتهما ، فان تركناهما سيجعلان البلاد كلها مسيحيين وخير أن يقتلا من أن تهلك المدينة كلها .

ولما سمع ليسياس هذا الكلام حنق عليهما جداً وأمر بالقبض على بقية اخوتهما ولما مثل الجميع بين يديه خاطبهم قائلا : كيف تجاسرتم على أن تثيروا الشغب والاضطراب فى المملكة كلها بسحركم وآلهتكم المزعومة واجتهدتم فى إبادة دين القياصرة وإزالة عبادة آلهتهم العظيمة . ؟ ؟ ثم صرخ قائلا : إعلموا أنى اتيت لانتقم لتعصبكم وسوف أعذبكم بكل أنواع العذاب إن كنتم لاترتدون عن شركم نادمين فتنكرون فعلتكم الرديئة وتعبدون آلهتنا الحقيقية ! ! ثم أمر أن تربط أيديهم

وأرجلهم وأن يعذبوا عذاباً أليماً .

ثم ما لبث الوالى أن استدعاهم ثانية وخاطبهم قائلا : بما أنكم من أصل شريف فانى أريد أن أزيدكم شرفاً وأرفعكم إلى مناصب عالية ، ومن أجل ذلك أستدعيتكم لعلكم تقبلون مشورتى ، فان أطعتمونى ورذلتم عبادة المسيح الذى يرذله العلماء والعظماء فانى أحسن اليكم .

وكان الوالى يغريهم بمختلف الوعود الكاذبة ويبسط أمامهم شهوات هذا العالم الزائل ومراكزه الخادعة .

ثم أضاف قائلا : إحذروا : الويل لكم ثم الويل إذا خالفتم أمر الملك فانكم ستهلكون تحت وطأة العذاب الأليم ، فامضوا الآن وتدبروا ما ينبغى أن تفعلوه ! . وكان يريد بذلك أن يحارب ثباتهم على الايمان ويدخل الشك والتردد إلى قلوبهم فبعدما كلمهم بكلامه المفسد ترك لهم وقتا ، لعل الشك يملك على قلوبهم . . .

لكن الأخوة المباركين أجابوه بصوت واحد قائلين :

لسنا محتاجين أن نتأمل ذلك طويلا لأننا قد أحسنا هذا التأمل فدعوتنا واختيارنا ثابتان (٢ بط ١ : ١٠) إننا مسيحيون ومن أجل إيماننا الإلهي الحي نضطهد . وهذا أمر معلوم لنا من إلهنا ذاته لأنه قال ، ها قد سبقت فأخبرتكم . سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن أن كل من يقتلكم يقدم خدمة لله ، (يو ١٦ : ٢) ونحن نشتهي منذ زمن طويل احتمال الآلام ولو إلى الموت من أجل المسيح بل نطلب منك ان أمكن أن تتعجل هذا الامر بالحكم علينا .. فنحن غير خائفين من عذابات الجسد ولا نظن أننا نطيعك ونسجد لآلهتك الهالكة ونترك الهنا الحقيقي من أجل أمور تهلك وتزول مع هذا العالم الذي سيحل حتما محترقا بضجيج عند استعلان وظهور الهنا الآتي من السماء المنتظر .

كلمات القوة

(تبلك مسنونة في قلب أعداء الملك أيها الجبار)

من يستطيع أن يصف ثـــورة هذا الوالي الشرير وشدة غضبه الباطل وحالته التي أصيب بها حتى بدا كأنه أصيب بنوبة جنونية !!

فكان لإجابة الإخوة الحكيمة المملوءة بالتقوى والوداعة والقوة أثرها الشديد على نفسه كمثل النار الحارقة جعلته يثور عليهم كالحصان الجامح ..

فأمر الجنود لوقته أن يقيدوهم وأن يجروهم على دواليب بارزة حتى تتمرض عظامهم ..!!

وكان الغديسان يشجعان بقية اخوتهما الصغار على التمسك بالإيمان وأما هما فكانا ملشرحي الصدر يرتلان ويصليان كالعادة ولما رأى ليسياس ذلك الثبات منهم أمر جنوده بأن يوثقوهم ويطرحوهم في البحر ليرى هل يثنيهم الهم .

وأراد الرب أن يظهر مجده فيهم ليؤمن كثيرين فأرسل ملاكه فحطم السلاسل وأنقذهم فوصلت بهم الامواج الى الشاطىء بسلام فلما انتبه الجند من طرحهم جميعاً فى النهر وهموا بالرجوع رأوا القديسين واقفين أمامهم ولم يصبهم شيء ما ! .

ولما شاهد الناس هذه العجائب اندهشوا وسألوهم قائلين : ما هذا السحر الذى به تفعلون هذه العجائب ؟ ! فأستغل الإخوة هذه الفرصة السانحة لتعليم الشعب وأجابوهم قائلين : لا علم لنا بالسحر وإن الشياطين أصحاب هذا العالم يخافون ونحن نطردهم وننتصر عليهم بإشارة الصليب وباسم الهنا فكيف يمكن أن يسمعون لنا بصناعتهم السحرية ؟!! .

وكان الوالى قد أرسل بعض الجنود الآخرين ليقبضوا على الإخوة ويعذبوهم فآمن الجنود بالله بعدما سمعوا هذه الكلمات..

†††

ولما سمع ليسياس بما فعلوا أمر أن يحضروا القديسين أمامه فخاطبهم قائلا : لماذا خدعتمونى ! إننى سأعاقبكم باسم إلهتنا العظيمة لاتظنوا أنكم تخدعونى كما خدعتم البسطاء الذين أمرتهم بتعذيبكم ،(لأن الجند كانوا قد آمنوا باسم المسيح واستشهدوا) إنهم خدعوا فأطلقوكم ! وماهى قوة الهتكم حتى تخلصكم من يدى ؟! وانى باسم إلهى أدريانوس سأنتقم منكم .. وما أن نطق باسم آلهته الشريرة حتى لطمه ملاك ، وفى الحال دخلته أرواح نجسة ، ظلت تعذبه بشدة وتضربه دون أن يراها حتى كف عن الحديث ، واضطر إلى أن يصرف الإخوة عنه قليلا .

محبة الأعداء

(صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)
مت ٥ : ٤٤ .

إزدادت آلام الوالى جـــداً مما إضطره إلى أن يستدعى القديسين بمرارة ويتوسل اليهم طالباً العفو .

وقال لهم : توسلوا عنى لدى إلهكم الذى يبدو أنه هو الذى سبب لى هذه الآلام الشديدة !! .

وكان الشعب حاضراً يشهد لهؤلاء أنهم أبرياء. وقديسون ولاسيما بعد أن نظروا ما صنعه بهم الوالى الشرير فقالوا جميعهم إنه مستحق ذلك لأنه لم يشفق على المظلومين ..

ويا للعجب ! أنهم كانوا ينتظرون أن يرفض القديسون ابرائه ! لكن الذى حدث هو عكس ذلك لأن الأخوة الذين نالوا العذابات الشديدة والشتائم من الوالى بسبب أمانتهم رثوا لحاله

لما رأوه فى حالته الصعبة ولم تمض لحظات حتى سجدوا جميعهم إلى الأرض متضرعين إلى الله من أجله ولولا ذلك لهلك تحت وطأة الآلام ... طلبوا من السيد المسيح أن يظهر قوته الإلهية ورحمته غير المتناهية عليه وأن يسامحه عن إســـاءته إلى اسمه القدوس وأن يغفر له إساءته لهم وأخيراً طلبوا أن يبرئه من مرضه فللوقت تعافى .

كن أميناً إلى الموت فسأعطيك اكليل الحياة

رؤ ٢ : ١٠

لم تمض ساعات قليلة على برء الوالى وإنصراف الجوع وقد ظنوا أنه أمر بالعفو عنهم حتى تنكر لعمل الله فيه وإبتدع طريقة جديدة لتعذيبهم والتنكيل بهم . فأمر أن يعلق الأخوان الكبيران على صليبين ويربما بالحجارة أما باقى الإخوة فيقيدون مابين الصليبين ويرمون بالسهام .

لكن الذى حدث كان عجيباً للغاية لأن الأحجار التى كانت تقذف لم تكد تمس أجسادهم حتى ترتد بنفس القوة إلى الراجمين وأرتدت السهام لتصيب الضاربين مما اضطرهم فى النهاية الانسحاب والهرب لأن الحيرة والجزع ملأ نفوسهم فضلا عن الجراح البالغة التى أصيبوا بها ...

بعد ذلك أمر الوالى بحل وثاقهم وطرحهم فى أتون نار ، ولما سمعت أمهم بهذا الحكم لم تستطع أن ترى عذابات أولادها

أكثر من ذلك فبكت وتقدمت وأخذت تشجعهم وتثبتهم فى الإيمان مما أثار غضب الوالى عليها فأمر لوقته بقطع رأسها ونالت اكليل الشهادة ، وبقى جسدها مطروحاً لم يجسر أحد أن يدفنه فصرخ القديس فرمان قائلا : يا أهل هذه المدينة أما فيكم أحد قلبه رحيم يتقدم فيستر جسد هذه الأرملة العجوز ويدفنها ؟ عندئذ تقدم القائد الشجاع بقطر ابن رومانوس (الذى استشهد فيما بعد) وأخذ الجسد وكفنه ثم دفنه وسمع الوالى بما فعله بقطر فأمر بنفيه إلى ديار مصر حيث عذب هناك واستشهد على اسم المسيح .

أخيراً لما رأى ليسياس عجزه أمام هؤلاء القديسين أمر بقطع رؤوسهم جميعاً فساقوهم إلى مكان الاستشهاد وكانوا هادئ البال مبتسمي الوجه مسبحين الله كالقادمين على عرس .

ثم تقدم أحد الجلادين وقطع رأس الأول ثم الذي يليه إلى الأخير ... فصعدت أرواحهم الطاهرة إلى مكان الأبرار وانضموا إلى جمع القديسين . فتقدم بعض الاصدقاء الرحماء وحملوا الأجساد ولكنهم تذكروا وصية قزمان التي كان قد كتبها بألا يضعوا جسده مع أخيه دميان ... فلما وضعوا الاجساد الخمسة تساءلوا أين يضعوا جسد قزمان .

ويبدو أن القديس لم أن يمزق الوصية التي كان قد كتبها بهذا الخصوص قبل ظهور الرب له وبينما كانوا يحملون الجسد ليرفعوه على الجمل

ان الحيوان كمثل إنسان بلعام قائلا : « يارجال الله الذين شاهدوا كثيراً من عجائبه ليس في البشر فقط بل وفي الحيوانات أيضاً ، هوذا أنا خادمكم المطيع لكي أعلن لكم الآن أن هذا القديس يجب أن يبقى بجانب إخوته فهذه هي إرادة الله ..

وقد ارتجف الرجال مما حدث ووقفوا مبهورين لايقوون على الحراك ... وأخيرا قالوا بعضهم لبعض مبارك هو الله الذي يرشدنا إلى أن نعمل مشيئته على فم الحيوانات فانها أيضا تمجد الله ، فهو يريد أن يكون الإخوة جميعهم جسداً واحداً وروحاً واحداً .. فدفنوا الإخوة معاً مع أمهم .. وكان ذلك سنة ٣٠٦ م.

وتعيد لهما الكنيسة اللاتينية مرتين (٢٧ سبتمبر ؟ الخميس الرابع من الصوم الكبير) . والكنيسة القبطية في يوم (٢٢ هاتور ؟ ٢٢ يونة) من كل عام .

ويوجد دير معروف باسميهما بمنيل شيحة بمحافظة الجيزة ويرى القديس ثيؤدسيوس بأنهم دفنوا فى كيروس (Cyrus) بسوريا . وقد أجرى الرب على أيديهم معجـــزات كثيرة ، وقد نقلت بعض الرفات الى كنيسة القديسين آباكير ويوحنا بمصر القديمة .

صلاتهم المقدسة تكون معنا ولربنا المجد دائماً أبدياً

آمـــين

دير القديسين بمنيـــل شيحـــه

لم يكتب المؤرخون إلا القليل عن هذا الدير . وقد كتب المتنيح القمص عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى فى كتابه تحفة السائلين فى ذكر أديرة الرهبان المصريين ص ١٦١ ما يأتى :-

† دير وفيه كنيسة باسم القديسين قـــزمان ودميـــان بناحية منيل شيحه بمديرية الجيزة وهو غرب النيل شمالى أبو السيفين طموه . ذكر فى سجل الكنائس تبعا لكرسى أسقف الفيوم سابقاً . وأظنه هو الذى ذكره المقريزى فى وجه ٤٠٠ وسماه دير دموه بالجيزه وقال إنه على اسم قزمان ودميان .